

تجليات الغربة والحنين في شعر محمود سامي البارودي

Manifestation of alienation and nostalgia in the poetry of Mahmoud sami Al-Baroudi

ط.د: مسعود عبد المالك¹، أ.د: الضاوية بريك²Messaoud Abdelmalek¹, Pr: Dhawia BRIK²جامعة أحمد درايعية أدرار، Abd.messaoud@univ-adrar.edu.dzجامعة أحمد درايعية أدرار، dao.brik@univ-adrar.edu.dz

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/11/09

تاريخ الاستلام: 2024/09/17

الملخص: من أبرز وأهم المواضيع والقضايا التي أثارها الأدباء في أدبنا العربي قديما وحديثا، موضوع الغربة والحنين؛ فقد عُرف في العصر الجاهلي بشكل كبير لا سيما عند شعراء المعلقات فيما يعرف بالمقدمة الطللية أو البكائية، وقد استمر هذا الموضوع مع شعراء عصر صدر الإسلام فيما يُعرف بشعر الفتوح، ولم يتوقف عند هذا العصر بل ازداد انتشارا وشيوعا في العصر الحديث والمعاصر خاصة عند شعراء المنفى؛ ومن الذين ذاع صيتهم في هذا المجال رائد من رواد النهضة في المشرق العربي؛ ألا وهو محمود سامي البارودي، الشاعر الذي تغنى كثيرا بالوطنية والمجد العربي الذي أحبه، وصوّره في شعره أروع تصوير.

وسنحاول من خلال هذا المقال إعطاء نبذة موجزة عن البارودي، والتعريف بمصطلحي الغربة والحنين، وإبراز أهم تجليات ومظاهر الغربة والحنين عند البارودي، وذلك من خلال بعض كتاباته الشعرية .

كلمات مفتاحية: الغربة؛ الحنين؛ المنفى؛ مصر؛ سرنديب، محمود سامي البارودي .

Abstract: The subject of "Alienation and Nostalgia" is one of the most issues that has been earlier and recently considered by our writers and critics. This subject was well-known during the pre-Islamic era, in particular among the poets of the "Hangings" (in Arabic named as "Al-Mu'allaqat"). According to these poets, the topic was known as "The crying or The standing on the ruins introduction". Moreover, The study of "Alienation and Nostalgia" had been continued with the early Islamic era poets what was known as "The Poetry of conquest". Furthermore, it has become rather more widespread and popular in modern time, especially among the "Exile poets" such as: Mahmoud Sami Albaroudi. He was one of the pioneers of Renaissance in the Arab Levant who greatly and wonderfully praised patriotism and Arab glory in his poets.

Therefore, in this article, we are going to present a short biography about Mahmoud Sami Albaroudi, define the terms of 'alienation' and 'nostalgia' and highlight the most important aspects of "Alienation and Nostalgia" in some of his poetic writings.

Keywords: Estrangement. Longing. Exile. Egypt. Sarandib. Mohmoud Sami El-baroudi

مقدمة:

من القضايا التي طرقها الأدب العربي قديما ولا زالت تطرح؛ موضوع الغربة والحنين، وإن اختلفت الأسباب التي دعت إليهما، فإنّ الأدب في العصر الحديث والمعاصر قد عرف فيهما إنتاجا فاق العصور التي سبقته وقد كان للعراق فيهما حصة الأسد، فإذا كانت الغربة التي تولّد عنها الحنين قد أغنت الأدب الحديث والمعاصر وكثر الأدباء الذين كتبوا فيها، فما ملامحهما عند الشّاعر الحديث ؟ وإلى أي مدى جسدهما هذا الشعر؟

قد يرسم الأديب بالكلمات صورا موحية تدل على غربته وحنينه، كما أن ترك الأهل والخلان يجعله يعيش ألم الحزن والفراق ويكاد الشوق يقتله؛ وموضوع الغربة والحنين دعا إليهما محاولة الوقوف على معاناة هؤلاء الشعراء الذين ساقهم إمّا الوضع الاجتماعي، حبّا في حياة أكثر انفتاحا، فتركوا الوطن الأمّ إلى وطن آخر، وإمّا لدراسة أو لعمل، وإمّا بسبب آرائهم التي آمنوا بها فجنتّ عليهم إمّا بسجنهم، أو ترك الديار عن طريق النّفي، أو الخروج واختيار جوار آخر بعيدا عن الوطن خوف بطش الحاكم.

وقصد دراسة هذا الموضوع اخترنا أنموذجا عانى الأمرين الغربة والحنين، ويتمثل في الشّاعر المصري محمود سامي البارودي. معتمدين المنهج الوصفي المناسب لمثل هذه المواضيع التي تتناول المجتمع وما يتميز به، ولكن بوابة الموضوع تقتضي أن نقف أولا عند معنى الغربة والحنين فما تعريفهما؟

أولاً - التعريف بالغربة:

ورد في لسان العرب قوله: غَرَبَ القوم: ذهبوا في المغرب، والغَرْبُ: الذهاب والتّحّي، والغَرْبة والغَرْبُ: والنّوى والبُعد، وقد تَغَرَّبَ قال مساعدة بن جُؤبة يصف سحاباً:

«ثم انتهى بصري وأصبح جالسا منه لنجد طائف متغرب» (منظور، 2003م، صفحة 587)

وَعَرَبَ أي بَعَدَ، ويقال: أَعْرَبَ عني أي تباعد، ومنه الحديث: أنّه أَمَرَ بتغريب الرّاني، والتغريب: النّفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية فيه، فيقال أَعْرَبْتَهُ وَغَرَبْتَهُ إذا نحيتَهُ وأبعدته.

والتغريب: البعد، وفي الحديث أنّ رجلا قال: إنّ امرأتي لا تردّ يد لأمس، فقال غرّبتها أي أبعدتها يريد الطلاق والغربة والغَرْبُ، النّزوح عن الوطن، والاعتراب قال المتلمس:

«ألا أبلغا أفناء سعد بن مالك رسالة من قد صار في الغُرب جانبهُ» (الضُّبَعي، 1970، صفحة 267)

والاعتراب و التغريب كذلك، تقول منه: تغرّب، واعترب، وقد غرّبه الدّهر، ورجل غُرِبَ، وغريب: بعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة .

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل غرب الغرباء فقال (الذين يُحيون ما أمات الناس من سنتي) وفي حديث آخر (إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) .

أي أن أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريباً كما كان أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصبرون كالغرباء ، فطوبى للغرباء، أي الجنة لأولئك المسلمين كانوا في أول الإسلام، ويكونون في آخره، وإنما خصّهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولاً و آخراً ولزومهم دين الإسلام. (منظور، 2003م، صفحة 588)

فالمسلمون أولّ عهدهم بالإسلام تنكّر لهم القريب والحبيب إثر تغيّر المعبود، لذلك عاشوا كأنهم غرباء بين أهاليهم ومعارفهم، وهذا الأمر كان في بداية الدعوة وسيكون في نهاية الزمان كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف وكيف أنهم سيعانون بطش الكفار ولكنهم ثابتون على إسلامهم .

والغربة من طبيعة الإنسان، أو هي دافع أساسي من دوافعه، وهي تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن إنسان إلى آخر، لأنها تتكون بطبيعة صاحبها، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم ومعارف.

واتضح لنا من خلال البحث في مفهومها أن الغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم، بينما أخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها، وليس ما لحق القرن العشرين من حروب ودمار واستيلا، ومن هنا فإن الحديث عن الغربة يجعلنا نؤكد على الفرق الشاسع في الدراسات الغربية الحديثة وفلسفتها.

كما تعرف الغربة بأنها النفي الاضطراري، والابتعاد عن الأهل والأبناء، والغياب عن الوطن والشعور بالحنين من جزاء الوحدة والوحشة إلى ذلك الوطن، والثّوق إلى العودة. (عمر بوقرورة، د.س، الصفحات 13-14).

وهذا التعريف نجده تقريبا تجتمع عليه جميع المعاجم من أنّ الغربة تكمن في الابتعاد عن الدّيار ، وكلّ شيء كان الإنسان قد أَلْفَهُ واعتاد عليه من أهل أو صَحْبٍ أو غيرهما .

وجاء في المعجم الوجيز: غَرِبَ عن وطنه- غربة: ابتعد عنه. فهو غريب (ج) غرباء وهي غريبة، والغربة: النّوى والبعد. (مجمع اللغة العربية ، 1990، صفحة 447).

فكما نجد، وهو ما أشرنا إليه سابقا أنّ التّعريف يأخذ معنى التّأني وترك المألوف، والعيش في بعد عنه.

أما في معجم المنجد فإننا نجد: غربة: اغتراب، وحدة، عزلة: شكا من الغربة، وغربَ رجل عن البلاد أرسل إلى بلاد الغربة: غربَ شخصا ، واغترب: هاجر ، تغربَ ترك أهله، رجل عن وطنه، ارتحل عنه وأحس بالغربة: جعله الحنين إلى وطنه يغترب، ومنه: اغتراب: هجرة، مهاجرة: اختار الاغتراب ليفلت من قضاء بلده. (اليسوعي، د.س، الصفحات 1047-1048)

والملاحظ على تعريف معجم المنجد أنه وسّع في بعض معانيه، ليتحدث عن الهجرة التي قد يلجأ إليها الإنسان والتي قد تكون أحيانا هروبا من قضاء بلده .

ومما سبق من تعاريف خاصة بالغربة نستنتج أنها تعبير إما عن البعد عن الأهل، أو البعد عن الأوطان وما ينجم عن ذلك من معاناة تكوي الإنسان كائناً من كان سيما الأدياء منهم، فهم عبّروا عن معاناتهم ومعاناة غيرهم، كما تجدهم يتحدثون عن تطلعاتهم، وأمانيتهم، وهو أمرٌ طبيعيٌّ، فكل محرومٍ إلّا ويرسم ولو على مستواه النفسي وفي عالم الخيال ما يؤمن به كما جسّد هذا المعنى الشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدته " أنا " حيث قال:

أنا من ضميري ساكنٌ في معقلٍ أنا من خلالي سائرٌ في موكبٍ

فإذا رأيَ ذو الغباوة دونه فكما ترى في الماء ظلَّ الكوكبِ (ماضي، صفحة 146)

فالشاعر هاهنا يرسم لنفسه مكانا يعيش فيه في عالم الخيال لا الحقيقة، ويعلو بنفسه إلى مكان الأمراء وأصحاب الرفعة والسّمو، ويرى أنّ من يُنقصُ من قدره ويحطّ من مكانته بأنّه لا يؤثّر فيه شيئا، وهو مثلما ترى الكوكبَ في ماء لا يصلح للاستعمال ولكنّ هذا الماء العكر لا يُنقص من مكانة الكوكب فهو عالٍ وإن ظهر في مكان وضيع .

كما تذكر المصادر العربية أنّ الإنسان الجاهلي قد ربط بين الغربة، وكثير من المعاني التي تتعلق بها فهذا الجاحظ يذكر كلاماً كثيراً عن تشاؤمهم بالغُراب" ومن أجل تشاؤمهم بالغُراب اشتقّوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب. (عمر بوقرورة، د.س، صفحة 14).

حيث كان الغُراب قديماً نذير شؤم على العرب ورؤية العربي له وهو بهم بترك الدّيار، إشارة إلى أنّ سفره هذا يُضمّر له مالا يحمد عقباه، فكان يتطيّر من رؤيته.

ويمكن أن نشير هنا إلى أنّ مصطلح الغربة يقترب منه معنى آخر وهو الاغتراب وهو ما ورد في معظم معاجم اللغة، حيث وجدنا أنّ هناك من اعتبرهما معنى واحد، وهو الدّهاب والبعد عن الوطن، إلّا أن بعضها لم تفرّق بين مصطلحي الغربة والاعتراب؛ فالغربة مقترنة بالبعد عن الوطن، وفراق الأهل والأحبة، وارتباطها بالمكان

أمّا الاغتراب فهو شعور نفسي يصيب الإنسان بسبب ما، فيشعر بالغربة وهو في وطنه أو بين أهله، فإذا كانت هذه هي معاني الغربة فما المقصود بالحنين ؟

ثانياً- تعريف الحنين:

جاء في لسان العرب: الحنين من حَنَّ يَحِنُّ حنيناً- إذا اشتاق- وحنَّت الناقة إذا نزعت إلى أوطانها أو ولدها والبعير إلى وطنه كذلك، ويقال حنَّت على فلان إذا حلَّمت عنه، أو تكلم فلم تجبه، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا ينشد:

«أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةً بَوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرَّ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرَدَنْتَ يَوْمًا مِياهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطْفِيلُ» (الزبيدي، 2010، صفحة 230)

وهو هنا يتذكّر مكة وأهله فيها بعد أن أخرجتهم قريش منها، قاصدين المدينة المنورة والتي دعا نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم أن تكون نزلًا مريحاً له ولصحابته بعد تهجيرهم هو وصحابته من مكة الحبيبة، فقال حنَّت يا ابن السوداء.

وبنو حَنَّ بطن من بني عذرة، قال الشاعر النابغة الذباني:

«تَجَنَّبَ بَنِي حُنٍّ فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تَلَقْ إِلَّا بِصَايِرِ» (الذباني، صفحة 61)

والحنَّ- زعموا- ضرب من الجنّ- قال الراجز:

«أُبَيِّتُ أَهْوَى فِي شَاطِئِينَ تُرْنُ يَلْعَنُ أَحْوَالِي مِنْ حِنْ وَجِنْ»

قال أبو بكر: أحوالي: أحوالي جمع حولي . (دريد، 2005م، صفحة 88)

والحنين: الشّديد من البكاء والطّرب، وقيل: هو صوت الطّرب كان ذلك عن حزن أو فرح، والحنين: الشّوق وتوقّان النّفس، والمعنيان متقاربان، وحنَّ إليه يحنُّ حنيناً فهو حانٍ، والاستحنان: الاستطراب واستحَنَّ: استطرب وحنَّت الإبل: نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحنُّ في إثر ولدها حنيناً تطربُّ مع صوت، وقيل حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت، والأكثر أنّ الحنين بالصّوت، وحنَّنت النّاقة على ولدها: تعطّفت، كذلك الشاة، قال رؤبة:

«حَنَنْتُ قُلُوصِي أَمْسٍ بِالْأَزْدُنِّ حَنِّيَ فَمَا ظَلَمْتُ أَنْ تَحْنِيَّ»

ويقال: حَنَّ قلبي إليه، فهذا نزاع واشتياق من غير صوت، وحنَّت النّاقة إلى أُلْفَها فهذا صوتٌ مع نزاع

وكذلك حنَّت إلى ولدها، قال الشاعر:

«يُعَارِضُ مِلْوَاحًا كَأَنَّ حَنِينَهَا فُبَيْلَ انْفِتَاقِ الصُّبْحِ تَرْجِعُ زَامِرِ»

ويقال حنَّ عليه أي عطف عليه، وفي الحديث: أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلَّم كان يصلِّي في أصل أسطوانة جذع في مسجده، ثم تحوَّل إلى أصل أخرى، فحننت إليه الأولى، ومالت نحوه، حتى رجع إليها فاحتضنها فسكنت

أي أنَّ الجذع ومع أنَّه جمادٍ إلَّا أنَّه يعرف قيمة الحبيب، لذلك حنَّ ، والحبيب المصطفى عليه السَّلام تراه أحسَّ بحنينها فعاد واحتضنها ليخفَّف عنها .

وفي رواية آخر " أنَّه كان يصلي إلى جذع في مسجده، فلما عُمل له المنبر صعد عليه، فحنَّ الجذع إليه" أي نزع واشتاق، قال: وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها، وتحانَّت كحَنَّت. (منظور، 2003م، الصفحات 427-428)

والحنَّان: الذي يحنُّ إليه الشَّيء، والحنَّة بالكسر رقة القلب، والمستحِنُّ: الذي استحنَّه الشَّوق إلى وطنه، قال: ومثله ليزيد بن النعمان الأشعري:

«لَقَدْ تَرَكْتُ فُؤَادَكَ مُسْتَحَنًّا مُطَوَّقَةً عَلَى غُصْنٍ تُعْنِي»

وقالوا: لا أفعل ذلك حتَّى يحنَّ الضبُّ في إثر الإبل الصَّادرة، وليس للضبِّ حنين إنَّما هو مثَلٌّ، وذلك لأنَّ الضبَّ لا يرد أبداً.

وجاء في معجم المنجد: حنين: شوق، تَوَقُّ وصبوة حنين إلى الوطن، إلى مسقط الرأس"، اشتياق حزين أسف ممزوج بكآبة على ما مضى، على الابتعاد عمَّا عرفناه وأحببناه: " حنين إلى عادة، إلى أيام الشباب". (اليسوعي، د.س، صفحة 34).

وورد في المعجم الوجيز قوله: حنَّ - حنيناً: صَوَّت، ويقال حَنَّت الناقة: مدَّت صوتها شوقاً إلى ولدها والحنَّان: الرحيم، وهو من صفات الله تعالى، والحنين هو الشَّوق. (مجمع اللغة العربية ، 1990، صفحة 176). وفي القاموس المنجد: الحنين: مصدر، و- الشوق- صوت الناقة في إثر ولدها. (عمرو، 2005م، صفحة 434)

وممَّا ذُكِرَ آنفا نستنتج أنَّ المعنى الجامع بين ما تداولته هذه المعاجم هو أنَّ الحنين هو توقُّ النَّفس واشتياقها لشيء ألفتَه، وأضناها فراقها عنه، فعاشت تبحث عن خلاص، وهذا الخلاص لا يكون إلا بعودة ذلك الشيء لترتاح النَّفس، وتعود البسمة إليها.

وبعد هذه الجولة في معاني الغربة والحنين سنحاول أن نتلمسها في شعر من شعراء العصر الحديث وليكن محمود سامي البارودي، لكن قبل أن نتطرق إلى الزاد الذي يتناول موضوع الدراسة علينا الوقوف على حياته وشعره فمن يكون محمود سامي البارودي؟

ثالثاً- التعريف بالشاعر :

محمود سامي البارودي ابن حسن بك مدير دنقلة وبربر على عهد محمد علي باشا (الزيات، صفحة 492)، عُلِمَ من أعلام الشعر العربي الحديث، ولد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة (1255هـ ، 1839م) بمصر، وقد لُقِّبَ بالبارودي نسبة إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة، ولقد كان لأجداده حضور قوي في حكم مصر، وهو أمر كان يعتدُّ به الشاعر كثيراً ويذكره في شعره، وفي كل أعماله، وأثر قوي في جميع حياته، وكذلك في المصير الذي آل إليه (الجارم و معروف، 1998، صفحة 6). ومن عادة الكبراء أن يحرصوا على توريث أولادهم حُبَّ السيادة والسُّمو وذلك ما عُرف به محمود سامي البارودي ، فعاش مفتخراً بأبائه وأجداده.

عاش وهو صغير متنعماً بنعمة أبيه، ليحرمَ بعد حين من هذا العطف (الزيات، صفحة 492) ، حيث مات عنه أبوه وهو ابن السابعة من عمره، فتكفلَ به بعض أهله، واعتنوا به وتعليمه من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره، ليلتحق بعد ذلك بالمدرسة الحربية مع أمثاله، وأبناء الطبقة الحاكمة، حيث اعتبرت الجندية مظهر من مظاهر السيادة والعزة، إضافة إلى اعتبارها ضرورية لأبناء هذه الطبقة ليكونوا أصحاب مناصب سامية في الدولة (الجارم و معروف، 1998، صفحة 6).

وكان وهو حديث السن مولعاً بحفظ الشعر وإنشاده، ولم يُعرَف مصدر هذا الميل فيه، فعكف على دواوين الفحول من الشعراء العرب حتى بلغ سنَّ الشباب فصيح اللسان، يعرف الإعراب دون أن يتعلَّم علم النحو (الزيات، صفحة 492)

رابعاً- شعره :

يعد البارودي من الشعراء الذين أعادوا بعث الشعر وإحيائه من جديد، بعد أن كان مُشوَّهاً في عهد قريب منه، من نَظْمٍ ضعيف، وصناعة متكلفة، ومعنى سقيم، فأزال هذه الأمراض عنه، وبعثه جميل الطلعة نقي الأسلوب جلي المعاني، وقد اعتمد في صقل موهبته على شعر ابن المعتز والشَّريف الرضي والطَّغرائي وغيرهم من الفحول، لذلك وأنت تقرأ له تحس أن أطياف هؤلاء حاضرة (الزيات، صفحة 493) .

فكما هو معروف فقد كان الأدب قبل البارودي شعره ونثره يعاني أمراضا عدة منها غلبة الصنعة والتكلف، وتحجر في المعاني، وضعف في توليدها وقصور في الإبداع، ولكن ومع بزوغ شمس البارودي بدأ الشعر مثلاً يعرف تحسناً وجمالاً من خلال اعتماده على معين الفطاحل من الشعراء السابقين له فجادت قريحته بكل جميل، وكان بالفعل رائداً عرف الشعر من خلاله حياة جديدة سيما شعر الحماسة والوصف .

والبارودي لم يقل الشعر لياهي به، أو ليعرض براعته الأدبية، بل لأنه في سليقته وهو ديدن سابقه من شعراء الحماسة، ليصنع منه ميادين لمجد يعوّضه ما كان يبلي في الحروب من بلاء حسن، بعد أن سكنت في مصر وأصاب الشجاعة والنخوة العربية ركود وضعف. (الجارم و معروف، 1998، صفحة 10)

فحبُّ الشيء كفيل بأن نبدع فيه، ولعلّ هذا ما جعل الشاعر محمود سامي البارودي ينفرد بأسلوب تراه يتغنّى به وهذا ما يوضحه في قوله:

تَكَلَّمْتُ كَالْمَاضِيْنَ قَبْلِي بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْكَلِمَا

فَلَا يَتَعَمَّدُنِي بِالْإِسَاءَةِ غَافِلٌ فَلَا بُدَّ لِابْنِ الْأَيْكِ أَنْ يَنْزِنَمَا (الجارم و معروف، 1998،

صفحة 9).

وقد كان صنيع عباس الأول الذي كان من الذين أعاقوا النهضة الفضل في تفرغ الأديب البارودي لقراءة الكتب ، لما سرح معظم الجيش، ليفعل ذلك بعده سعيد، فلم يجد البارودي وزملائه ما يفعلون فاتجه إلى القراءة ومطالعة أعمال الشعراء السابقين (النافع و إبراهيم، 1963، صفحة 594) .

وهو ما نعبّر عنه بقولنا ربّ ضارة نافعة، فخرج البارودي في تلك التي تتميز بالشباب ، وحبّه لمطالعة الكتب، وتفرغه لها، وحفظه لما تيسر له من عيون الشعر، هو ما أهله ليكون في مصاف الشعراء الذين أعادوا بعث الشعر من جديد .

خامسا- مؤلفاته :

للشاعر محمود (مختارات البارودي) وهو في أربعة أجزاء، جمع فيه ما اختاره من شعراء العصر العباسي وفي أغراض مختلفة، معتمدا في اختياره على طريقة نظمه، وقدم حسن اللفظ والمعنى على حسن المبني، كما له (ديوان شعر) وهو في جزئين وقد طبع في مصر . (الزيات، صفحة 494).

كما إن له مختارات من النثر سماها (قيد الأوابد) جمع فيها عيون الرسائل والخطب والنويعات، والتي لا تزال مخطوطة إلى يومنا هذا، وله رسائل نثرية ظريفة أيضا تنتظر الخروج للعلن (النافع و إبراهيم، 1963، صفحة 597) .

لنقول إن حياة هذا الرجل مليئة بالأحداث المهمة التي جعلته يصورها في شعره وبأغراض عدة كالوصف والحماسة وإن كنا سنركز في هذا البحث الوقوف على شعر الغربة والحنين عنده، فقد قال وأجاد بعاطفة تبين مدى شوقه وحنينه، وما فعلته الغربة به.

وغربة الشاعر كان وراءها أحداث مهمة منها سفره مع الجيش المصري لمساعدة تركيا في حربها ضد روسيا، وقد أبلى بلاء حسنا، نال به تكريما أوصله إلى رتبة لواء ، وكان ميدان القتال ميدانا رائعا جعله يكتب فيه شعرا كثيرا ، ليعود إلى مصر وهو في سن الأربعين ليتقلد مناصب عدة وصولاً إلى رئيس الوزراء في عهد توفيق الخديوي بعد الخديوي إسماعيل .

ولما قامت الثورة العرابية حاول التدخل للإصلاح بين زعماء الثورة والخديوي لكنه لم يوفق، ما جعله ينضم إلى الثوار، ثم لما أحس البارودي بتدخل إنجلترا وفرنسا، واستعانة الخديوي بهما حذر الثوار ونصحهم لكنهم لم يستجيبوا وكانت النتيجة هزيمة الثورة نتيجة الغدر والخيانة، ونفي زعمائها ومنهم الشاعر سامي البارودي إلى سرنديب (سيلان) [وهي جزيرة بالمحيط الهندي، بجوار الهند، استعمرها البريطانيون، وسيطروا عليها من سنة 1802م إلى أن استقلت سنة 1948م، يعرفها تجار العرب وملاحهم من قديم الزمان، وهم من أطلقوا عليها اسم سرنديب واليها نفي الشاعر كما ذكرنا آنفا عقب إخفاق الثورة العرابية، وفيها أنتج أجمل شعره [الجارم و معروف، 1998، صفحة 445]، ليظل في منفاه سبعة عشر عاما، فقد في تلك السنوات زوجته وابنتيه.

وقد خلد الشاعر في منفاه قصائد رائعة في الشكوى والحنين إلى الأوطان، وراثا من مات بين أهله وأصدقائه، وهناك تعلم الإنجليزية وقرأ بها، وأبدع فيها، كما راسل الأدباء، ليعود بعد ذلك إلى مصر سنة 1900م كيف البصر، وقد خارت قواه وضعف سمعه (النافع و إبراهيم، 1963، صفحة 595)

سادسا- تحليل نماذج من شعر الغربة والحنين عند الشاعر البارودي:

أ - شعر الغربة :

من شعر البارودي في الغربة هذه القصيدة التي قالها في سرنديب :

لكل دمع جرى من مقلّة سبب وكيف يملك دمع العين مكتئب ؟

لولا مكابدة الأشواق ما دمعت عين ولا بات قلب في الحشا يجب (الجارم و معروف، 1998،

صفحة 72)

لقد استهلّ الشّاعر قصيدته بحقيقة لا يمتري فيها النّاس، وتتمثّل في أنّ العين لا تدمع بلا سبب والأسباب كثيرة جداً، ولكنها تتفاوت، فدموع الحزن مثلاً كثيرة حارة، ويستفهم بسؤال وهو: هل يستطيع المكتئب أن يتحكّم في دمه؟ وهذا السؤال استنكاريّ لأنّ الشّاعر يعرف إجابته قَبْلاً، ليعود ويؤكد في البيت الثاني أنّ الذي يجعل دمع العين مدراراً هو هجوم الأشواق وقسوتها على الإنسان فتجعل قلبه قلقاً في اضطراب .
لذلك أيّها اللّاتم رفقاً، وتبيّن الأسباب قبل أن تحكم، وفي هذا تذكير بما قاله البوصيري في قصيدة البردة التي قالها في مدح نبي الهدى عليه السّلام :

يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُدْرِيّ مَعْدِرَةً مِّنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلِمِ (الحنفي، 2017، صفحة 51)

فمعرفة الأسباب كفيلة أو السبب تشفع للمحب، وهو الأمر نفسه الذي يعيده الشّاعر في هذه القصيدة وكيف أنّ اللّاتم يلوم المحبّ على حُبّه، وينسى أنّ القلوب لا تُسأل حين يأتيها الحبيب، وهو ما يجعل المحبّ يبئلى بأسقام يحاول أن يخفيها ولكن تقضحه العيون وملامح الوجه، لذلك فسلطانه لا يقاوم وهو ما أشار إليه إذ يقول :

فَيَا أَخَا الْعَدْلِ لَا تَعْجَلْ بِلَايِمَةٍ عَلَيَّ فَالْحُبُّ سُلْطَانٌ لَهُ الْعَلْبُ (الجارم و معروف، 1998، صفحة

(72)

أي غالب وقد اعتمد اسم الفاعل ليؤكد استمرارية السيطرة من طرفه، وكتمانه لأشواقه أمر لا يستطيعه وما زاد الصّورة بهاء تشبيه الحب بالسلطان المسيطر الذي له سلطة التحكم في الإنسان
فَكَيْفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَبِي كَلَفٌ تَكَادُ مِنْ مَسِّهِ الْأَحْشَاءُ تَنْشَعِبُ
أَمْ كَيْفَ أَسْأَلُوا وَلِي قَلْبٌ إِذَا التُّهَبَّتْ بِالْأَفْقِ لَمْعُهُ بَرْقٌ كَادَ يَلْتَهَبُ
أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيّاً عَلَى حُرْقٍ يَكَادُ أَيْسَرُهَا بِالرَّوْحِ يَنْتَشِبُ
إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاضَتْ زَفَرَتِي شَرّاً كَمَا اسْتَنَارَ وَرَاءَ الْقَدْحَةِ اللَّهَبُ (الجارم و معروف، 1998،

صفحة 72)

وفي هذه الأبيات تعبير عن شدة الحزن الذي يعتصر الشّاعر، وكيف شبّهه بالنّار المشتعلة التي تحرق القلب وتقضي على الرّوح، وحتى وهو يتنفّس تنبعث زفراته شديدة الحرارة، تشبه ما تفعله ولّاعة النّار ليشعرنا بقساوة الغربة وما تفعله في الإنسان، كما أنّ التّاريخ يثبت أن بعض المناطق التي عرفها بعض المغتربين تميّزت بجمالها، ولكنّ شوقهم لبلدانهم وإن كانت دونها جمالا ومنزلة جعلهم لا يرون جمال تلك المناطق، لأنّ الحقيقة تقول أنّ الحب للوطن والمرايح الأولى والأهل والخلان

فَلَا تَلْمُنِي عَلَى دَمْعٍ تَحَدَّرَ فِي سَفْحِ الْعَقِيقِ قَلْبِي فِي سَفْحِهِ أَرُبُ
مَنَازِلَ كُلَّمَا لَاحَتْ مَخَايِلُهَا فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ مِنِّي هَاجَنِي طَرَبُ
لِي عِنْدَ سَاكِنِهَا عَهْدٌ شَقِيقٌ بِهِ وَالْعَهْدُ مَا لَمْ يَصْنُهُ الْوُدُّ مُنْقَضِبُ
وَعَادَ ظَنِّي غَلِيلاً بَعْدَ صِحَّتِهِ وَالظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَانًا وَيَقْتَرِبُ (الجارم و معروف، 1998،
صفحة 73)

وقبل أن الوقوف عند المعاني لنقف عند الصورة الجميلة التي تدل على تعبه مما يجد لما شبّه الظنّ
بإنسان يصاب بالأمراض، وفي حقيقة الأمر أنّ الشاعر هو المريض، فهو في هذه القطعة يعبر عن شوقه
لدياره التي تغرب عنها وذكرها متمثلة في سفح العقيق، وكيف أنّه كلّما ذكر طيفها فاضت مدامعه شوقاً إليها،
ولما تركه من أحباب وأصدقاء فيها، ويلقي باللوم على من كان السبب في خروجه، والإلقاء به فريسة في
أنياب الغربة، لأنّ ضريبة الإخلاص أن تصبر عليه ولو على حساب من تحبّ
فَيَا سَرَاةَ الْحِمَى مَا بَالُ نُصْرَتِكُمْ ضَاقَتْ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ نُجُبُ
أَضَعْتُمُونِي وَكَأَنْتَ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى حَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ
الَيْسَ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْقَى التَّرِيزُ بِكُمْ أَمْنَا إِذَا خَافَ أَنْ يَنْتَابُهُ الْعَطْبُ (الجارم و معروف، 1998،
صفحة 73)

وقد عبّر عن حزنه من خلال تشخيص النُصرة بشيء يضيق على الإنسان، ويمنعه من التصرّف
وتراه ورغم ما صنعوا معه لكنّه ينزلهم منازل الشرفاء الذين يدافعون عن الحمى بكل ما أوتوا من عزيمة وقوة،
ويذكرهم بما فعلوه إذ ضيعوه بعدما وضع فيهم ثقته، ويتساءل متى تخلّوا أو نقضوا العهد الذي كان بينهم
وبينه، وإن كان هنا يوسّع من نطاق المتهّمين بأن تحدّث منهم من منظور القومية مخاطبهم بالعرب، ويأخذ
عليهم عدم اهتمامهم بضيّفهم أو الخائف من جائرٍ يترصّص به الدوائر، إلى أن يقول :
أَبِيتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا وَلَا الْمُلْتَقَى مِنْ شِيْعَتِي كَتَبُ
فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طَلْعُهُ وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَنِبُ
لَمْ أَفْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا أَصْبَحْتُ فِيهِ فَمَادَا الْوَيْلُ وَالْحَرَبُ
فَهَلْ دَفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَذَانُ بِيهِ وَأَعْتَرِبُ
فَلَا يُظَنَّ بِي الْحَسَادُ مُدَمَّةً فَإِنِّي صَابِرٌ بِاللَّهِ مُحْتَسِبُ (الجارم و معروف،
1998، صفحة 74)

فهو غريب في سرنديب، بعيد عن الأهل والأحباب، ومن تراه يسانده أو يشدّ عضده، وما يُفجع القلب أكثر أنه لم يرتكب ذنباً يستحقّ هذا النَّفْيَ والإبعاد، فهل حبُّ الدين والدِّفاع عنه وعن الوطن جريمة يحاسب عليها الإنسان ويُنفى خارج الدِّيار؟ هذا ورسالتني لمن يترصّ بنا أننا صابرون في مصيبتنا، وحسبنا الله فهو نعم المولى ونعم النصير .

وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ البارودي تشربّ المجد من عائلته، وعاش يقرأ عنه، ويتمثله في نفسه وذلك ما يعبر عنه في هذه الأبيات التالية:

أَثَرِيْتُ مَجْداً فَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا سَلَبْتُ	أَيُّدِي الْحَوَادِثِ مِنِّي فَهُوَ مُكْتَسَبُ
لَا يَخْفُضُ الْبُؤْسُ نَفْساً وَهِيَ عَالِيَةٌ	وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشْبُ
إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي	وَلَا يَجِيفُ عَلَى أَخْلَاقِي الْغَضَبُ
وَمَا أَبَالِي وَنَفْسِي غَيْرَ مُخْطِئَةٍ	إِذَا تَخَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَذَبُوا
هَـا إِنَّهَا فِرْيَةٌ قَدْ كَانَ بَاءَ بِهَا	فِي ثَوْبٍ "يُوسُفَ" مِنْ قَبْلِي دَمَ كَذْبُ (الجارم و معروف،

(1998، صفحة 75)

وقد رسم من خلال صورتين معنى جميلاً تمثل في تشخيص البؤس بإنسان يخفض من يشاء ويُعلي، والأمر نفسه يفعله مع الخوف، فكبيرُ النَّفس الذي تعود الجراً والإقدام، لا تهزّه الحوادث أو تخيفه المصائب، ولا ينال منها البؤس أو يدني منزلتها، ولم يشه الخوف عن شيء يريد الوصول إليه، ولا يَغْتَمُ ونفسه لم ترتكب أو تذنّب ذنباً تُلام عليه، وإن كذبوا عليها أو افتروا لأنها بريئة منها براءة الذنب من دم يوسف.

والشاعر رغم ما فيه من أسى وتعبٍ وغربة، وتنكرٍ من طرف الدهر، فإنّه متفائل بغدٍ مشرقٍ، وسيعود الغريب ليستنشق هواء بلده الغالي، ويجتمع مع الأهل والخلان، الذين كان يفقدهم في بلاد الغربة، لأن مسألة البعد مسألة وقتٍ وهذا ما تحدّث عنه الشاعر في نهاية هذه القصيدة .

فَإِنْ يَكُنْ سَاعَتِي دَهْرِي وَعَادَرَنِي فِي غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فِيهَا أَحْ حَبِيبُ
فَسَوْفَ تَصْفُو اللَّيَالِي بَعْدَ كُدْرَتِهَا وَكُلُّ دَوْرٍ إِذَا مَا تَمَّ يَنْقَلِبُ (الجارم و معروف، 1998،

صفحة 75).

وأصعب شيء في الحياة أن يتنكر الدهر للإنسان، وكثير ما يلوم المرء الدهر، والحقيقة تقول بأنّه بريء، والتفاؤل من شيم الأقوياء الذين لا يلتفتون إلى الماضي وهم سيكون، بل يواجهون الصّعاب بنفس صابرة موقنة بأنّ الآتي سيكون أفضل، وحتى أنّ ديننا الحنيف يدعو إليه، والحياة أيام لها مرة، وأخرى حلوة والإنسان

يفرح بالثانية، ويتصبر محتسبا في الأولى، لقناعته أن دوام الحال من المحال، لذلك نرى العظيم في الشدائد يعاني، ولكنه يبتسم للحياة.

هذا وبعد أن درسنا جانباً من جوانب غربة الشاعر، كيف كانت ملامح الحنين عنده؟

ب- الحنين في شعر البارودي :

من معاني الحنين التي أبكى فيها الشاعر الجمداء قبل الإنسان قصيدته التي بعثها لأستاذه حسين المرصفي (هو الشيخ حسين بن أحمد المرصفي عالم لغوي وأديب، تخرج من جامعة الأزهر، تعلم الفرنسية ونجح في علوم العربية وأتقنها ، كما درسها في الأزهر ودار العلوم، يعد من الذين عملوا على تخليص اللغة من ضعفها من خلال إعادة إحيائها وبعث جمالها من جديد، ومن تلاميذه الشاعر محمود سامي البارودي . (الجارم و معروف، 1998، صفحة 137) .

يبدأ الشاعر قصيدته بجملة اسمية تحمل معاني التبتوت والاستقرار والإقرار بما فعله الفراق به، حيث أبعدته عن أحبائه، وليس له اتصال بهم وهو ما زاد همّه، وأكبر حزنه يقول:

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لَا سَلَامَ وَلَا رَدُّ وَلَا نَظْرَةً يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ

لَقَدْ نَعَبَ (الْوَابِرُ) بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلَا زَمَوْا جَمَالاً وَلَا شَدُّوا

فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ عَيْنٌ مِنَ الْبَكَاءِ وَلَا خَدَّ إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ (الجارم و معروف، 1998،

صفحة 137)

فالبعد عن الوطن والأهل يسيل دمع العين، وكلما عادت الذكرى بالإنسان انتابه الحنين لذلك الزمن الذي عرف اتصالاً واجتماعاً مع الخَلان والأحباب، ليصدع بنداء لمن يخاطبه قائلاً :

فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَوْا فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ

لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ

هُوَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنْ لِوَقْعِهَا عَلَى كَيْدِي مِمَّا أَلَدُّ بِهِ بَرْدُ (الجارم و معروف،

1998، صفحة 138)

وانظر ما فعله التشبيه البليغ في البيت الأخير هو النار الذي أظهر الشوق وما يصنعه بقلب الإنسان وقد ذكر في مطلع هذه الأبيات اسم سعد ولعل هذا ذكره الشاعر تقاولاً باسمه، لأنه مهموم كئيب أضناه البعد، وهو يطلب منه أن يحدثه بما يعرف فهو بعيداً انقطعت عنه الأخبار، لعله يخفف بعض أشواقه، التي شبهها

بالنَّارِ الملتَهبة، والتي تكاد تذيب كبده، وليت التفكير في موضوع آخر يطفئ بعض حرارتها، أو قل هل تستطيع النفس أن تجد لها بديلاً يجعلها تنسى سيطرة الأحزان، وما يتعب قلبه أكثر هو نسيان أهل بلده يقول :

وَلَكِنَّ إِخْوَانًا بِمِصْرَ وَرِفْقَةً نَسُونَا فَلَا عَهْدَ لَدَيْهِمْ وَلَا وَعْدُ
أَحْنُ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنْ دُونَنَا مَهَامَةٍ تَعْنِيَا دُونَ أَقْرَبِهَا الرُّبْدُ
فِيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُنُوبِنَا ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
أَفِي الْحَقِّ أَنَا ذَاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وَدُّ
فَلَا ضَيْرَ إِنْ اللَّهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّدُّ (الجارم و معروف،

1998، صفحة 140)

فالشاعر في هذه القطعة من القصيدة يلوم أهل مصر سيما من كان يحسبه قريباً منه، يعاتبهم على نسيانه، ولولا بعد المسافة بينه وبينهم لكان عاد إليهم، لأنه على عهد الوفاء لهم باق رغم تتكرّم له، وعلامات ذلك أنهم لا يردون على رسائله التي يبعثها لهم، ولكن لا ضير، فالحمد سبحانه سيفتح طريق العودة ليعود الشاعر إلى حضن مصر وأهلها، ولكن رغم ذلك لا زال يشنق لذكراهم لأن حبه لهم صادق

أَبَيْتُ لِذِكْرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلِّمًا كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ تَحْوُهُ الْوَرْدُ
فَلَا تَحْسِبُونِي غَافِلًا عَنْ وِدَادِكُمْ رُوَيْدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ
هُوَ الْحُبُّ لَا يُثْنِيهِ تَأْيِي وَرُبَّمَا تَأْجَحُ مِنْ مَسِّ الضَّرَامِ لَهُ النَّدُّ
نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةً وَتَجَهَّمَتْ بِوَجْهِي أَيَّامٌ خَلَانَقَهَا نُكْدُ
أَتُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبُلْقَانِ يُخْطِنُهَا الْعُدُّ (الجارم و معروف،

1998، صفحة 141)

قد يطول زمن الفراق بين الشاعر وأحاباه، والسبب هو الغربة، وما زادها قسوة طبيعة الأيام التي ميّزها الجفاء، وكأنّ ألم الفراق وصنيع الأيام اتفقا على تعذيب الشاعر، وحرمانه ممّا يريد، وليس يرى في غريته تلك إلّا كما مهولاً من جنود الروس بالمكان الذي هو يقاتل فيه، ألا وهو البلقان بتركيا في إطار مساعدة القوات المصرية للجيش التركي .

وما يلاحظ على شعر البارودي اعتماده على الحكمة من وقت لآخر كما في هذه الأبيات التي يقول

فيها:

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُّ

إذا كان عُقْبَى أَي شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ
وَتَخْلِيدُ ذِكْرِي الْمَرْءَ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَيَاةٌ لَهُ لَا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ
فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سُورَةَ يَوْمِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقَعِهِ بُدُ
أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ وَمِنْ شِيْمَةِ الْفَضْلِ الْعِدَاوَةُ وَالضَّدُ
فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنِ حَمْلِهِ الْعَضْدُ
فَلَا زِلْتُ مُحْسُوداً عَلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتَى وَلَهُ نِدُ (الجارم و معروف،

1998، صفحة 143)

فالشاعر يرى أن القلب أحياناً لا يسعف صاحبه بعد أن جعل منه شيئاً منفصلاً عنه، وما ذاك إلا تخفيف مما تعانيه النفس من آلام الغربة، وعلى الإنسان ألا يخاف الموت لأنه آتٍ لا محالة، فإذا كان في الوعي فأنعم بها ذكرى؛ يموت صاحبها ولكنه سيظل حياً يُذكر أنى دُكر الأبطال.

وأنا البارودي - يقول الشاعر - محمود بغير عيب، ولكن لا أسلم من الحاسدين والكارهين وهو أمر يعرفه كل كبير، ولعلّ هذا المجد الذي صنعه لنفسه هو ما جلب لي هؤلاء الحساد والمبغضين، وما من رجلٍ مثلي إلا وله أعداء، وهذا ما أشار إليه في نهاية القصيدة المذكورة آنفاً.

خاتمة:

ومما سبق ومن خلال وقوفنا على الغربة والحنين عند الشاعر نتوصل إلى النتائج التالية :

- الغربة ليست وليدة اليوم بل هي متجذرة أصولها عند العربي منذ العصر الجاهلي.
- الغربة إما عن رغبة ذاتية، وإما بإرغام الشخص على الهجرة عن طريق النفي كما وجدناها عند شاعرنا البارودي .
- كانت الغربة المعلم الذي أخذ منه الشاعر دروساً وعبراً، علمته معنى الوفاء، ومن هو الصديق الوفي، وقساوة الحرمان .
- للغربة اتصالٌ وثيقٌ بالحنين، فلا تكاد تجد مغترباً إلا وله حنين للأهل أو الخلان أو الوطن أو لهم جميعاً.
- الحنين عاطفة داخلية، وشعور نفسي صادق يضني النفس، ويتعب الروح، ويبكي الذي يعيشه.
- البارودي رجلٌ وطنيٌّ، حبُّ التضحية في سبيله دمٌ يسري في شرايينه، يؤثر الموت ليراه سعيداً .

- الغربة عند البارودي معاناة، تحمّل متاعبها، لكنّها لم تثته عن هدفه، ولم تجعله يستسلم من أجل تحقيق أهدافه .
- لا يتكلّم الشّاعر عن الغربة إلّا ويتبعها بالحنين، ونادراً ما يفصل بينهما.
- الحكمة حاضرة من حين لآخر في شعر البارودي، وهو أمر شائع عند الشعراء الأقدمين، يجعل من حكمهم تجربة إنسانية نستجيب للأحسن منها، ونبتعد عن ما يسوء منها.
- ويبقى المجال النقديّ مجالاً واسعاً، يكشف عن جوانب أخرى تخصّ الشّاعر محمود سامي البارودي، فهل يمكن لقصائده أن تكون معينا لنا للوقوف على هذه الجوانب؟، وإلى أيّ مدى يمكن الحكم على معالم حياته من خلالها ؟

5. قائمة المراجع:

- 1- أحمد الزبيدي، (2010)، التجريد الصّحيح لأحاديث الجامع الصّحيح، دار الحديث، القاهرة
- 2- بوقرورة عمر، (د.ت)، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945-1962م)، منشورات جامعة باتنة- باتنة- الجزائر.
- 3- ابن دريد، (2005م)، جمهرة اللغة، ج01، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- 4- ابن منظور، (2003م)، لسان العرب، ج06، القاهرة: دار الحديث.
- 5- حسن كامل الصيرفي، د.ط، (1970م)، ديوان المتلمس الضبعي، المجلد01، معهد المخطوطات العربية القاهرة.
- 6- حمدو طمّاش ط2 (2005م)، ديوان النابغة الذبياني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
- 7- سامي الدهان، د.س: ديوان أبي ماضي، دار العودة، بيروت.
- 8- شهاب الدين أبوعمر، (2005م)، القاموس المنجد، بيروت- لبنان: دار الفكر.
- 9- علي الجارم ومحمد شفيق معروف (1998م)، ديوان البارودي، دار العودة، بيروت.
- 10- لويس معلوف اليسوعي، (د.ت)، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المجلد01، دار المشرق. بيروت- لبنان.
- 11- مجمع اللغة العربية، (1990م)، المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية. مصر.
- 12- محمد الطيب محمد النادي عبد النافع - إبراهيم عبد الرحيم يوسف (1963م)، تاريخ الأدب والنصوص الأدبية للسنة السادسة ثانوي، مراجعة منير البعلبكي، منشورات دار الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.